علي منصة في سرور وطمانينة كالسلطان الحاكم لمن تنبني ميزانه علي كل قول من اقوالهم لا يرى قولا
واحدا من اقوالهم خارجا عن مرتبتي الميزان من تخفيف او تشديد بل يرى الشريعة قابلة لكل ما
قالوه لوسعها فاعمل يا اخي بمده الميزان وعلمها الاخوانك من طلبة العلم من المذاهب الاربعة
ليحيطوا بها علما ان لم يصلوا الي مقام الذوق لها بطريق الكشف كما اشار اليه قوله تعالى
فان لم يصبها وابل فطل وليمونوا ايضا بصحة اعتقادهم في كلام ايمتهم ومقلديهم ويطابقوا
بقلوبهم قولهم باللسان ان سائر ايمة المسلمين علي هدى من ربهم ان لم يكن ذلك كشفا
ويقينا فليكن ايمانا وتسليما فعليكم ايها الاخوان باحتمال الاذى ممن يجادلكم في صحة هذه
الميزان فبالله قوما وقيلا ان تحضروه معكم حال قراءتها علي علماء المذاهب الاربعة فانه معذور
لا يكاد يسلم لكم صحتها لغرابتها وربما وافق مذاهب لحاضرين هيبة لهم ورد المذهب الذي
لم يكن احد من مقلديه حاضرا لعدم من ينتصر لذلك المذهب وفي ذلك دلالة علي مراعاته
وجوه المنافقين نسال الله العافية وبما قررناه لك يا اخي انتهت الميزان الشعرانية المدخلة
لجميع اقوال الايمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية نفع الله بها المسلمين وقد حبب لي ان
اذكر لك يا اخي قاعدة هي كالمقدمة لثمرة هذه الميزان بل هي من اقرب للطرق الى التسليم لها
وذلك ان تبني اساس نظرك اولا علي الايمان بالله تعالى هو العالم بكل شي والحكيم في كل شي ازلا
وابدا لما ابدع هذا العالم واحكم افراده وميز شئونه واتقن كماله اظهره علي ما هو شاهد من
الاختلاف الذي لا يكاد يحصره ولا ينضبط امره متنافيا في الامزجة والتركيب مختلفا في الاقوال
والاساليب علي حكم ما سبق به علم الله القديم وعلي وفق ما نفذت به ارادة العليم الحكيم
تعالى علي هذه الاوضاع والتكاليف واستقر امره علي ما لا ينتهي اليه غاية من الشئون والتفاريع
وكان من جملة بديع حكمته وعظيم الايه وعميم رحمته ان قسم عباده الي قسمين شقي
وسعيد واستعمل كلا منهما فيما خلق له من متعلق الوعد او الوعيد واوجد لكل منهما في هذه
الدار بحكم عدله وسعة افضاله ما يصلح لنشاته في حاله ومآله من محسوسات صورها ومعنويات
قدرها ومصنوعات ابداعها واحكام شرعها وحدود وضعها وشئون ابداعها فتمت بذلك
امور الحدثان وانعقد بذلك نظام الكائنات وكمل بذلك ما ينبغي للزمان والمكان حتى قيل
انه ليس في الامكان ابدع مما كان قال تعالى في كتابه القديم لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم علي انه سبحانه وتعالى لم يجعل كل نافع نافعا مطلقا ولا كل ضار ضارا مطلقا بل
ربما نفع هذا ما ضر هذا وضر هذا ما نفع هذا او ربما ضر هذا في وقت ما نفعه في وقت اخر
ونفع هذا في وقت ما ضره في وقت اخر كما هو مشاهد في الموجودات الحسية والمدركات المعنوية
لمكان خلت عن الادراك بالافكار واسرار خفيت الا علي من اراد عالم الاسرار ومن هنا يتحقق
المومن ان كلا ميسر لما خلق له وان ذلك انما هو لاتمام شئون الاولين والاخرين فان الله
هو الغني عن العالمين وحيث تقررت يا اخي هذه القاعدة العظيمة علمت ان الله تعالى لم
يمكر لسعيد من حيث ما كلفه ابدا وان اختلاف ايمة هذه الامة في فروع الدين احمد عاقبة واقوم
رشدا وان الله تعالى لم يخلقنا عبثا ولم يبرع لنا التكاليف سدا بل لم يلهم احدا من المكلفين
العمل بامر من امور الدين نقيده به علي لسان احد من المرسلين او علي لسان امام من ايمة الهدى

المجتهدين

المجتهدين الا في العمل به علي وجه في ذلك الوقت اعلى مراتب سعادة ذلك المكلف
المختص به لدخوله في وبالا يقتضيه حاله ولا يصرفه عن العمل بقول امام من ايمة الهدى الي
العمل بقول امام اخر منهم الا وفيما صرفه منه انحطاط في ذلك الوقت عن الاكمل في الدرجة
اللايقة به رحمة منه سبحانه وتعالى بالمعل نفحة السعادة ورعاية الحظ الاوفر لهم في
دينهم ودنياهم كما يلاطف الطبيب الحبيب ولله المثل الاعلى وهو القريب المجيب لا سيما
وهو الفاعل المختار في الاموات والاحياء والمدبر المريد لكل شي من سائر الاشياء فانظر يا اخي
الي حسن هذه القاعدة ووضوحها وكم ازالت من اشكالات مبهمة وافادت من احكام محكمة
فانك اذا نظرت فيها بعين الانصاف تحققت بصحة الاعتقاد ان سائر الايمة الاربعة
ومقلديهم رضي الله عنهم اجمعين علي هدى من ربهم بظاهر الامر وباطنه ولم تعترض قطعا علي
من تمسك بمذهب من مذاهبهم ولا علي من انتقل من مذهب منها الي مذهب ولا علي من قلد غير
امامه في اوقات الضرورات لاعتقادك يقينا ان مذاهبهم كلها داخلة في سياج الشريعة
المطهرة كما سيأتي ايضاحه وان الشريعة المطهرة جاءت شريعة سمحاء واسعة شاملة قابلة
لسائر اقوال ايمة الهدى من هذه الامة المحمدية وان كلا منهم فيما هو عليه في نفسه علي بصيرة
من ربه وعلي صراط مستقيم وان اختلافهم انما هو رحمة بالامة نشا عن تدبير العليم الحكيم
فعلم سبحانه وتعالى ان مصلحة البدن والدين والدنيا عنده تعالى لهذا العبد المومن في كذا
فاوجده لذلك لطفا منه بعباده المومنين اذ هو العالم بالافراد قبل تكوينها فالمومن الكامل
يومن ظاهرا وباطنا ان الله تعالى يعلم ازلا ان الاصلح عنده تعالى لعباده المومنين انقساما
علي نحو هذه المذاهب لما اوجدها لهم واقرهم عليها بل كان يجمعهم علي امر واحد لا يجوز
لهم العدول عنه الي غيره كما حرم الاختلاف في اصل الدين بنحو قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه فافهم ذلك فانه نفيس واحذر ان يشتبه عليك الحال فتجعل الاختلاف
في الفروع كالاختلاف في الاصول فتنزل بك القدم في مهواة من التلف فان السنة هي القاضية
عند ما علينا بتفهيم من الكتاب والسنة مصرحة بان اختلاف هذه الامة رحمة بقوله صلى الله عليه
وسلم وهو بعد حصا يبعد في امته مما من معناه وجعل اختلاف امتي رحمة وكان فيمن قبلهم عذابا
انتهى وبعد ان الله تعالى لما علم ازلا ان الاحفظ والاصلح عنده تعالى لهذا العبد المومن في دينه
التطهير بالماء الجاري مثلا لاستخفاف حال مثله التطهير بما هو اشد احتياطا لاعضاء الامر ويقتضي
ذلك اوجد له اماما اخر منه اطلاق القول بعدم صحة الطهارة بسوى ذلك الماء
في حق كل احد فكان العفش للهمة تقليده ليلتزم ما هو الاحوط في حقه رحمة به ولما علم
الله سبحانه وتعالى ان الاحفظ والاصلح عنده تعالى ايضا لهذا العبد المومن تجديد وضوئه
ان كان متوضيا اصمم العزم علي فعل ما ينتقض به الوضوء لانتقاض وضوئه الاول بنفس
ذلك العزم لامر يقتضي ذلك اوجد له امام هدى احمد عنه اطلاق القول بوجوب ذلك
في كل احد والهم التقليد له ليلتزم ما هو الاولى في حقه ولما علم الله سبحانه وتعالى ان الاحفظ
والاصلح عنده تعالى ايضا لهذا العبد المومن التنزه الكلي عن مباشرة ما خامره الكلب مثلا ولو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)